

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على محمد وآلـه الطيبين الطاهرين سيمـا خليفة الله في الأرضـين، واللـعنة الدائمة على أعدائهم أجمعـين، ولا حـول ولا قـوـة إلا بالله العـالـي العـظـيم

كان البحث حول تنـقـيـح مـوـضـوـع الرـثـوة، وـبـدـأـنـا بـالـبـحـثـ اللـغـويـ فـيـهـاـ، ثـمـ سـنـعـرـجـ بـعـدـ ذـلـكـ اـنـ شـاءـ اللهـ تـعـالـىـ إـلـىـ كـلـامـ

الـفـقـهـاءـ وـالـعـرـفـ وـالـرـوـاـيـاتـ لـنـرـىـ مـدىـ سـعـةـ دـائـرـةـ مـفـهـومـ الرـثـوةـ مـنـ ضـيـقـهـ، وـقـدـ نـقـلـنـاـ بـعـضـ أـقـوـالـ اللـغـويـنـ كـلـسـانـ العـرـبـ حـيـثـ

ذـكـرـوـاـ اـنـ الـكـلـمـةـ (ـرـثـوةـ)ـ مـأـخـوذـةـ مـنـ الرـشـاءـ وـهـوـ الـحـبـلـ، وـمـنـ الرـشـاـ وـهـوـ وـلـدـ الضـبـيـ إـذـ تـحـركـ وـمـشـيـ، وـمـنـ رـشـاـ الـدـابـةـ وـرـشـتـهـاـ،

أـوـ رـسـنـ الدـلـوـ، وـكـذـلـكـ ذـكـرـنـاـ بـعـضـ اـشـتـقـاقـاتـ الـكـلـمـةـ، هـذـاـ مـاـ مـضـىـ.

كلام اللغويين ظاهر في ان الوضع أولاً للأمور المادية :

والظاهر من كلام لسان العرب وابن الأثير وكلام البعض الآخر من اللغويين انهم استظهروا او أخبروا - على كلا الاحتمالين - ان مادة (الرثوة) قد وضعت في البدء للأمور المادية كالحبـلـ والرسـنـ وـلـدـ الضـبـيـ وـمـاـ أـشـبـهـ، ثـمـ بـعـدـ ذـلـكـ وـضـعـ الـلـفـظـ لـلـأـمـرـ

الـمـعـنـوـيـ وـهـوـ الرـثـوةـ المـعـهـودـةـ،

فـالـمـسـتـفـادـ مـنـ ظـاهـرـ كـلـامـهـمـ هـوـ وـجـودـ التـرـتبـ وـالتـسـلـسلـ فـيـ الـوـضـعـ بـيـنـ الـمـعـنـيـنـ

اقوال بعض اللغويين:

ولـنـلـاحـظـ بـعـضـ أـقـوـالـ بـعـضـ الـلـغـويـنـ فـيـ ذـلـكـ، حـيـثـ يـقـولـ فـيـ (ـلـسـانـ العـرـبـ)ـ :ـ (ـرـثـوةـ مـأـخـوذـةـ مـنـ رـشـاـ الفـرـخـ...)ـ وـظـاهـرـ

قولـهـ (ـمـأـخـوذـةـ)، انـ رـشـاـ الفـرـخـ وـاـشـبـاهـهـ هـوـ المـوـضـوـعـ لـهـ أـوـلـاًـ ثـمـ كـانـ هـذـاـ الـوـضـعـ -ـ الـأـوـلـ -ـ دـاعـيـاـ لـوـضـعـ الـلـفـظـ لـلـمـعـنـيـ الـآـخـرـ وـهـوـ

الـرـثـوةـ -ـ بـالـمـعـنـيـ الـمـصـطـلـحـ -ـ ؛ـفـانـ فـائـدـةـ الـحـبـلـ هـوـ اـنـ يـتوـصـلـ بـهـ إـلـىـ الـمـرـادـ وـالـرـسـنـ كـذـلـكـ يـتوـصـلـ بـهـ إـلـىـ حـفـظـ الـفـرـسـ مـنـ الـمـهـرـوبـ

وـهـكـذـاـ، وـالـرـثـوةـ يـتوـصـلـ بـهـاـ كـذـلـكـ لـلـحـاجـةـ بـالـصـانـعـةـ،

وـيـقـولـ ابنـ الأـثـيرـ:ـ (ـرـثـوةـ الـوـصـلـةـ إـلـىـ الـحـاجـةـ بـالـصـانـعـةـ، وـأـصـلـهـ مـنـ الرـشـاءـ الـذـيـ يـتوـصـلـ بـهـ إـلـىـ المـاءـ)

وـيـقـولـ صـاحـبـ مـجـمـعـ الـبـحـرـيـنـ:ـ (ـوـاـصـلـهـاـ مـنـ الرـشـاءـ الـحـبـلـ الـذـيـ يـتوـصـلـ بـهـ إـلـىـ المـاءـ)،

إـذـنـ :ـ هـذـاـ الرـأـيـ وـالـاحـتمـالـ يـظـهـرـ مـنـ بـعـضـ أـعـلـامـ الـلـغـويـنـ^١

ولـكـنـ:ـ هـذـاـ الـأـصـلـ وـالـجـذـرـ الـلـغـويـ يـرـقـىـ إـلـىـ رـتـبةـ كـوـنـهـ أـمـارـةـ نـوـعـيـةـ وـمـنـ الـظـنـونـ الـعـقـلـائـيـةـ عـلـىـ الـوـضـعـ لـلـأـعـمـ فـيـ الـأـمـرـ

الـمـعـنـوـيـ^٢ـ،ـ أـيـ:ـ هـلـ اـنـ درـاسـةـ شـحـرـةـ الـكـلـمـةـ وـالـصـيـرـورـةـ التـارـيـخـيـةـ -ـ وـفـيـ خـصـوصـ مـقـامـنـاـ الرـثـوةـ -ـ،ـ وـمـعـرـفـةـ اـنـ هـذـاـ هـوـ الـجـذـرـ -ـ

عـلـىـ فـرـضـ صـحـةـ كـوـنـهـ جـذـراـ وـأـصـلـاـ -ـ يـرـقـىـ إـلـىـ كـوـنـهـ أـمـارـةـ نـوـعـيـةـ عـلـىـ الـوـضـعـ لـلـأـعـمـ؟ـ نـظـرـاـ لـأـنـ الـحـبـلـ يـتو~صلـ بـهـ إـلـىـ الـحـاجـةـ حـقـاـ

كـانـتـ اوـ باـطـلاـ،ـ فـإـذـاـ كـانـ الـوـضـعـ فـيـ الـحـبـلـ لـلـأـعـمـ فـكـذـلـكـ يـكـوـنـ وـضـعـهـاـ الـلـاـحـقـ لـلـأـمـرـ الـمـعـنـوـيـ،ـ هـذـاـ اـحـتمـالـ أـوـلـ،ـ وـأـمـاـ الـاحـتمـالـ

الـثـانـيـ فـهـوـ أـنـ يـكـوـنـ مـاـ ذـكـرـ مـجـرـدـ مـرـجـحـ لـلـوـضـعـ فـيـ الـأـعـمـ،ـ

الفرق بين الامارية والمرجحية :

وـمـرـجـعـ تـحـدـيدـ الـأـمـارـيـةـ اوـ الـمـرـجـحـيـةـ،ـ إـلـىـ اـنـ الـوـضـعـ اـلـأـوـلـ لـوـ كـانـ سـبـبـاـ لـلـوـضـعـ الـثـانـيـ بـخـصـوصـيـاتـهـ وـحـيـثـيـاتـهـ فـهـوـ أـمـارـةـ،ـ وـأـمـاـ لـوـ

كـانـ الـوـضـعـ اـلـأـوـلـ هـوـ السـبـبـ لـلـوـضـعـ الـثـانـيـ لـكـنـ لـاـ بـخـصـوصـيـتـهـ بـلـ بـنـحـوـ إـجـمـالـيـ،ـ أـيـ اـنـ الـوـضـعـ اـلـأـوـلـ كـانـ دـاعـيـاـ لـلـوـضـعـ الـثـانـيـ دـوـنـ

أـنـ يـتـقـيـدـ الـثـانـيـ بـخـصـوصـيـاتـ الـمـوـضـوـعـ لـهـ اـلـأـوـلـ فـهـوـ مـرـجـحـ،ـ

١ - ولكن سنذكر ان هناك احتمالين آخرين قسيمين لهذا الاحتمال.

٢ - ولابد من التذير بـانـ هذاـ الـبـحـثـ هوـ بـحـثـ مـتـهـجـيـ وـسـيـنـعـ فـيـ (ـفـقـهـ الـلـغـةـ)ـ بـقـوـلـ مـطـلـقـ

وبعبارة أخرى: هل سببية وضع الأول للثاني هي بنحو الحيثية التقييدية أو بنحو الحيثية الداعوية؟ وسيأتي مزيد توضيح لذلك
ان شاء الله تعالى^١.

رأي بعض الأصوليين في الأقدم من أقسام الوضع

ويوجد رأي لبعض الأصوليين يشترك مع بحثنا في جامع قريب، حيث يقول^٢:

(الأقدم من أقسام الوضع هو الوضع الخاص والموضوع له الخاص؛ لأن الباعث لإبراز ما في الضمير هو مشاهدة الأمور
الجزئية) انتهى،

وبتوضيح مما لکلامه: ان هذا الأصولي يتصور ان ما جرى في بدء الخليقة هو ان الوضع كان اولاً للأمور الجزئية المادية؛ لأن
الإنسان في بدء خلقيته لم تكن له علاقة بالكتب الفلسفية او الرياضية او غيرها، وإنما شغله ومدار حركته هي الجزئيات المختلفة التي
يواجهها في صيده وطعامه، فمثلاً عندما يرى ان التفاحة تسقط أمامه يضع لها لفظاً، فالمعنى المتصور في هذه الحالة خاص، أي
الوضع خاص كما ان الموضوع له خاص، وهكذا عندما يرى ولده يبكي فان بكائه خاص أيضاً وهو المعنى المتصور فيوضع له لفظة
البكاء مثلاً، ولذا اختار ان الأقدم هو الوضع الخاص والموضوع له الخاص.

وتطبيق هذا الرأي على المقام – مع نوع من التطوير له – ان الأقدم هو الوضع للأمور المادية لأن الإنسان فيما قبل التاريخ
كان محاطاً بالأمور المادية الجزئية المحسوسة؛ وكانت هي مصب اهتمامه أولاً ولا غيره ولذا فانه عندما وضع اللفظ للحبل وسماه
 بذلك وإنما كان لتعامله أولاً معه، ثم بعد ذلك وضع اللفظ للرسوة – مورد البحث –^٣؛ لانتقال ذهنه من الحبل المادي الذي يتوصل
به لاستدرار واستجرار الشيء الآخر، إلى الرسوة التي هي معنى من المعاني، وذلك لل المناسبة بينهما.

الجواب: ليس الوضع الخاص هو الأقدم

ونقول في مقام التعليق على كلام الأصولي – مع التطوير الذي ذكرناه –: ان کلامه في غاية الضعف^٤، وذلك لجهتين:
الجهة الأولى: ان کلامه مبني على ان الواقع هو غير الله تعالى، وما بناءً على ان الواقع هو الله تعالى استناداً إلى (وَعَلَمَ آدَمَ
الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) وغيره، فان کلامه لا محل له من الإعراب.

ثم انه حتى لو لم نقل ان الواقع هو الله تعالى فيوجد رأي ومبني آخر وهو ان الواقع هم الحكماء، والحكيم ليس كالجاهل
الصرف، من لا يدرك إلا الماديات المحسوسة بالحواس الخمس. والظاهر ان مبني ذلك الأصولي هو هذا الثاني (الواقع حكماء
البشر)^٥.

الجهة الثانية: – وهو جواب ترتلي – انا حتى لو قلنا ان الواقع ليس هو الله تعالى وليس الحكماء، وإنما هم الجهلة من القرون
ما قبل التاريخ^٦ نقول:

حتى على هذا الاحتمال فان قول ذلك الأصولي ليس بصحيح فانه حتى الجاهل يدرك كثيراً من الكلمات والمعنيات، بل
نقول: ان الإنسان مركب من حواس ظاهرة يدرك بها الجزئيات المادية، ومن حواس باطنية يدرك بها المعاني الجزئية^٧، وكذلك ركب

١ - ونحن لا زلنا في إطار الاحتمال الأول المستظره من قول ابن الأثير ولسان العرب

٢ - ولتوضيح کلامه لا بد ان نذكر ان الواقع كما هو معروف على أربعة أقسام: الواقع خاص والموضوع له خاص كالاعلام الشخصية والوضع عام والموضوع له عام كأسماء الأجناس وأما القسم الثالث
والرابع فهو بالاختلاف: الواقع خاص والموضوع له العام – والذي رأى صاحب الكفاية عدم صحته إذ الخاص لا يكون مرآة للعام، وعكسه وذلك كأسماء الإشارة.

٣ - وذلك بسبب تطور الحياة نحو الملكية الفردية واحتياج كلٌّ إلى الآخر في امور معينة، مما يضطر الإنسان إلى دفع المال في مقابل ذلك

٤ - ولعلنا لم نجد في الأصول كلاماً أشد ضعفاً منه

٥ - لا ان الواقع هو واحد أي يعرب بن قحطان بل هم حكماء متعددون

٦ - ولكن كيف لأولئك الجهلة أن يضعوا العلوم بتلك القواعد المتكاملة خوبياً وصرفياً؟

٧ - ومنها (الرسوة)

فيه العقل الذي يدرك الكليات أيضاً، وعليه فكيف يدعى بان الأقدم هو الوضع للخاص والموضوع له الخاص في خصوص دائرة الحواس؟ بل خصوص المشاهد منها إذ يقول (لأن الباعث لإبراز ما في الصميم هو مشاهدة الأمور الجزئية؟) وذلك لأن الباعث للبوج بما في الصميم هو:

١- اما مشاهدة الأمور الجزئية المادية.

٢- واما البوج بما في البصيرة من المعانى الجزئية كالحب والبغض والرسوة منها.

٣- واما إدراك الكليات، فان كل هذه الحيثيات يدركها حتى الإنسان الجاھل لضرورة وجود العقل فيه، وانه ليس كالحيوان لا يدرك الكليات، بل ان الحيوان أيضاً يدرك المعانى الجزئية لا المشاهدات فحسب.

إضافة في المقام و استغراب :

واستغربنا في المقام لا ينقضى من كلام هذا الأصولي؛ لانه يجري ويصب في مصب ما توهمه بعض الحداثيين من الإنسان البدائى الأول، وأقاموا عليه ما زعموه أدلة وهي لا ترقى حتى إلى مستوى المؤيدات والتي تبني أيضاً على إنكار كون أول الخلق هو الإنسان العاقل الكامل إذ كان الخليفة قبل الخليقة وهو آدم النبي وأبناؤه ومنهم تشعب البشر.

والنتيجة : ان القول بالاقمية للوضع للجزئيات المشاهدة لا وجه له إطلاقاً، ومن هذا البيان يتبيّن لنا وجه من وجوه رفض ما ادعاه ابن الأثير ولسان العرب وبجمع البحرين من الأصل المذكور، فإنه لا دليل على ان الوضع الأول للرسوة كان هو (الحبل) ونظائره من الأمور المادية.

علم شجرة الكلمات و ضرورة تكامل مباحث الألفاظ

ونستطرد للإشارة الى بحث منهجي، وهو كبرى كلية مهمة، وهي ان علم الأصول رغم ما شهده من البحوث المعمقة والتطور الكبير الا انه لا يزال في إحدى جهاته لم يتکامل، ونفس هذه الجهة لعلها هي التي سببت وقوع هذا الأصولي في هكذا مطب، وقد اسمينا هذا العلم أو هذا الفرع من هذا العلم - والذي لابد من ولو جه لإكمال مباحث الألفاظ في علم الأصول من حيث الشمولية والإحاطة والبحث والفائدة - علم دراسة شجرة الألفاظ وسيورتها التاریخیة^١ فان هذا العلم - أو هذا الفرع من العلم - ليس موجود في حوزاتنا^٢، مع ان مباحث الألفاظ هي من الأبحاث المهمة جداً والتي تعتمد فيما تعتمد عليه، هذه الحيثية؛ ومن مصاديق ذلك ان العديد من المفردات التي صدرت في زمن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم). مرور الزمن جرى عليها بعض التحول والذي قد يصل إلى درجة النقل بالوصول إلى زمن الصادقين علیهما السلام، ثم لعله جرى بعد ذلك التحول تحول آخر في الأزمنة اللاحقة وهكذا، وهذا بحث متشعب موسع ولكنه لم يبحث في علم الأصول إلا استطراداً، وأما العلم الحديث فقد أسس لذلك علما خاصا اسمه الاركيو لوجيا المعرفية وهو علم مهم سنشير له ان شاء الله تعالى، وللكلام تتمة.

وصلی الله علی محمد وآلہ الطاھرین

١ - وهو فرع من فروع (علم فقه اللغة)

٢ - أو هو في بداياته الأولى فقط.